نقــد نيتشه لشوبنهاور

"التشاؤم الديونيسى Dionysian Pessimism"

أ. هبة مصطفى محمد حسانين
ماجستير في الفلسفة الحديثة والمعاصرة
قسم الفلسفة – كلية الآداب
جامعة أسيوط

يذهب بعض المفكرين إلى أن "النزعة التشاؤمية Pessimism" (*) كنسق للفكر تبدو متعارضة غالباً مع أى نسق فكرى آخر، والحجة فى ذلك أنها صعبة على الفهم الفلسفى، ولكننا سوف نتعرض فى هذا البحث لتلك النزعة بالنقد انطلاقاً من تعرض نيتشه F. Nietzsche لها عند شوبنهاور A. Schopenhauer بالنقد أيضاً، وكذلك نقد رؤية نيتشه نفسه لتلك النزعة.

فنيتشه كان ناقداً لكل الفلاسفة المتشائمين فى عصره، ورغم ذلك فإنه نظر إلى عمله الخاص به بوصفه نوعاً من التشاؤم الذى لم يُقصد به جانباً نفسياً، ولكن قُصد به جانباً فلسفيا، ولذلك فإن البحث فى تشاؤم نيتشه كعامل أول للتشابه بينه وبين أستاذه شوبنهاور، وكعامل ثان، وهذا هو الأهم، لبيان اختلافه عنه يتطلب منا أن نتناول ذلك التشاؤم فى إطار من الدراسة التى فضلها نيتشه طوال مسيرة فكره وهى دراسة الدراما الإغريقية.

وعلى ذلك فإن هذا البحث يتناول تشاؤم نيتشه فى ضوء من "التشاؤم الديونيسى"، وليس بمستغرب أن يكون شوبنهاور قد تأثر هو الآخر بدراما ديونيسيوس، ولذلك فإن دراسة عوامل اتفاقه مع تلميذه نيتشه ليست، فى هذه الحالة، سرداً عاماً لعلاقة فيلسوفين ببعضهما البعض، بل هى دراسة تنطلق من نزعتهما التشاؤمية وتأثرهما بالدراما الإغريقية، ودراما ديونيسيوس بصفة خاصة، ثم هى دراسة بعد ذلك عن جوانب الاختلاف بين نيتشه وشوبنهاور، بل ونقد نيتشه له فيما يتعلق بمفهومه عن النزعة التشاؤمية ؛ وأخيراً فإنها دراسة لنقد نيتشه نفسه وبيان جوانب قوته وضعفه.

(*) النزعة التشاؤمية : وهو مذهب التشاؤم، ويقابله مذهب التفاؤل Optimism : وفلسفه التشاؤم تقوم على أن كل ما بالحياة شر، وأن العالم يعتريه النقص، وأن الإنسان مفطور إما على التشاؤم أو التفاؤل. ومذهب التشاؤم يؤكد على الألم، بدعوى أنه طابع الوجود وقانون الحياة. وبحكم العلاقة العضوية والتاريخية بين الفلسفة والأدب، فإن الأدب بدوره قدم صورة متشائمة للحياة البشرية، حتى فى الأعمال الكوميدية التى تثير الضحك، فالإنسان مهما بلغ من القوة والجبروت، هو فى النهاية ريشة فى مهب الريح عندما يواجه القدر المتربص دوماً، وما التراجيديا والفلسفة سوى التجسيد الدرامى لهذا الخطأ المأساوى الذى ينخر فى الوجود الإنسانى والذى تبدو صوره وأشكاله لا نهائية ومتجددة مع مسيرة الزمن. انظر : (عبد المنعم الحنفى : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مادة النزعة التشاؤمية، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص ص١٧٠-١٧١؛ وأيضاً : نبيل راغب : موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر . لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ص١٧٢-١٧٣).

١- نيتشه وشوبنهاور والتشاؤم فى الدراما الإغريقية :

Nietzsche, Schopenhauer, and Pessimism in Greek Drama:

لقد كتب نيتشه أول مرة عن النزعة التشاؤمية فى صلتها بما هو ديونيسى(**) من خلال أول أعماله "مولد التراجيديا" The Birth of Tragedy. إذ يقول : "إنه يمكن أن يولد ديونيسيوس مرة أخرى فى ... الموقف العميق والمتشائم عن العالم"(١). لذلك فإن التساؤل يطرح نفسه، إلى أى مدى تأثر نيتشه بنزعة شوبنهاور التشاؤمية فى هذه المرحلة المبكرة من فكره ؟

يذكر نيتشه مثل أستاذه، أن الحقيقة العامة محجوبة بستار من السراب، وأن الطبيعة لا تقدم لنا إلا الوهم illusion، فعالم اليقظة الذى نعيشه عالم وهمى. وإننا عندما نحلم نكون على طرفى نقيض من الواقع. تلك هى علاقتنا بأبوللو Apollo (*)، مثلما هى علاقته بديونيسيوس، فإذا كانت الحياة هى الوهم، فإن الحلم هو وهم لوهم آخر (٢). ولذلك يقول نيتشه فى موضع آخر من "مولد التراجيديا" : "ربما لأول مرة هناك تنبؤ بالتشاؤمية يتجاوز الخير والشر" (٣). ففى هذا المؤلف، فى حقيقة الأمر، نجد الصورة المبكرة لنزعة نيتشه التشاؤمية الخاصة به.

(**) ديونيسيوس : وهو ابن زيوس Zeus" رب الأرباب" من "سيميلية" ابنة كادموس ويعنى اسمه "المولود مرتين"، وما أن شب حتى أتقن فنون الزراعة، وخاصة زراعة الكروم وتقطير النبيذ مما جعله إلهاً للخمر وإخصاب الطبيعة، وقد أمضى= =سنوات عمره يطوف ببلاد العالم، وكان يرافقه أثناء تجواله سيلينوس وتتبعه حاشية من ألمانياديس ومعربدى الساتير، وكان ديونيسيوس شديد المرح واللهو والضحك، وقد ربط المؤمنون به بين اسمه وبين البعث بعد الموت، فكانوا يقيمون له المهرجانات الديونيسية التى كانت تضج بالمرح والسكر والعربدة والموسيقى والرقص والغناء. تنظر : (ثروت عكاشة : الإغريق بين الأسطورة والإبداع،دار المعارف . القاهرة، ١٩٧٧، ص ص٩٢ : ١٠٠).

(١) فريدريك نيتشه : مولد التراجيديا، ترجمة شاهر حسن عبيد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية . سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص١٤٨.

(*) أبوللو : وهو ابن زيوس من لاتو، وكان أبوللو إلهاً للفن والشعر والموسيقى، وراعياً للماشية، ورسول أبيه للآلهة والبشر، كما يعد رباً للشمس والضوء، وكان إلهاً للغيب حتى أقام الناس له المعابد يستنبئون كهنتها عن مصائرهم، كما كان إلهاً للشباب ورمزاً للاستقرار والنظام ترافقه ربات الساعات والفصول. (انظر : ثروت عكاشة: المرجع السابق، ص ص٥٨-٦٠).

(٢) نيتشه : مولد التراجيديا، ص٩٩.

(٣) ميخائيل تانر : مقدمة الترجمة لمولد التراجيديا، المرجع السابق، ص٦٦.

فمهمة "مولد التراجيديا" ليست فقط فى شرح لظهور التراجيديا الإغريقية، ولكن لاختفائها أيضاً، على الأقل فى شكلها التقليدى بعد "يوريبيديس Euripides". فلقد افترض نيتشه أن مدخل سقراط Socrates فى الفلسفة العقلانية دمر الأسس الثقافية للتراجيديا اليونانية التى كانت موجودة من قبل. ولذلك فإن السؤال إذن ماذا حطم سقراط ؟ وكيف كان ذلك ممكناً ؟ وفى أية حالة ينبغى للفيلسوف أن يكون له القدرة على التأثير فى المتلقى ؟

والإجابة تكمن فى النزعة التشاؤمية التى ربطها نيتشه بفلاسفة ما قبل سقراط من أمثال هيراقليطس Heraclitus وديمقريطس Democritus، واعتقاده أن أفكارهم عكست الشخصية الأصيلة لثقافة الإغريق الأولى. فلقد كانت النزعة التشاؤمية هى الأساس الفلسفى لمسرحيات أيسخولوس Aeschylus، وسوفوكليس Sophocles وتلك كانت الحكمة التى حازتها حقبة ما قبل سقراط، والتى أنكرها الجيل المتأخر، ثم نسيها. وسقراط كان عاملاً فى ذلك التغير، لأن فلسفته كانت بالأساس ذات "نزعة تفاؤلية Optimism" [١].

فلقد أوضح نيتشه أن سقراط كان ينتقد الشعراء والفنانين، لأنه لم يجد لديهم سوى ادعاء المعرفة، وكيف أنه كانت تعوزهم الدقة والبصيرة الناقدة، حتى فيما يتعلق بحياتهم الشخصية، وأنهم ساروا فى الأمور كلها بغريزتهم فحسب [٢]. وعبارة "بشكل غريزى فقط" لنيتشه هنا عبرت، فى نظره، عن المدرسة السقراطية نفسها خير تعبير، فعن طريقها سفه هؤلاء السقراطيين، حسبما يرى نيتشه، كل ألوان الفن، والأخلاق، والمعرفة، التى لا تستند إلى الحجج العقلية. فلقد أمات سقراط التراجيديا بالجدل، والعقل، والإيمان، والمعرفة، وبشرّ بقدوم فن جديد يقوم على أخلاق، وألوان فنية ومعرفية جديدة، أى أنه حاول إقامة فن، ولكن بطريقة أكثر خلقاً، وجمالاً، ومعرفة [٣]. وعلى ذلك فإن التشاؤم ظهر فى فكر ما قبل سقراط، خاصة فى الدراما والمسرح الإغريقى ؛ وهُدم بالفعل بتفاؤل سقراط.

أما إسهام مفكرى ما قبل سقراط فقد كان، فى نظر نيتشه، المبدأ الملهم للنزعة التشاؤمية، فالزمن كان لديهم عبئاً ثقيلاً للموجودات الإنسانية، لأنه يقود إلى التدمير النهائى لكل شئ وذلك القدر Fate، فى هذه الحالة، يُخفى أى مبدأ للنظام فى العالم، وهذا ما فهمه

---

(1) Dienstag, Joshau Fau: Nietzsche's Dionysian Pessimism, The American Political Science Review, Vol. 95, No. 4, (Dec., 2001), P. 923.

(٢) نيتشه : مولد التراجيديا، ص١٧١.

(٣) والتركاوفمان : التراجيديا والفلسفة، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص٢١٣.

نيتشه، فقد رأى أن جذور النزعة التشاؤمية هى مرض الزمان Time – Sickness . كما كتب مؤخراً . فلقد رأى نيتشه التراجيديا وليدة للعالم، بأنه عبارة عن شئ فى سيلان Flux دائم، وفى صيرورة becoming مستمرة،بل وفى سياق مستمر من التدمير، فالتراجيديا لا تعالج هذا كله، أو تعوض بما هو أحسن، بل هى فقط تفهمه وتستوعبه [١].

من هنا رفض نيتشه النتيجة التى وصل إليها وذاع صيطها بعد ذلك، وهى أن التراجيديا تقدم نوعاً من التطهير Purification للمشاعر عن طريق الحقائق المؤلمة للوجود الإنسانى مثلما ذهب أرسطو، أضف أيضاً، أنه رفض كذلك القول بأن التراجيديا تشتمل نوعاً من الدرس الأخلاقى الذى يُرشد إلى السلوك الأخلاقى القويم، ولكن بدلاً من ذلك رأى "أن التراجيديا ببساطة تخدم بكشفها لنا الموقف الفظيع للوجود الإنسانى . كما وصفه فلاسفة ما قبل سقراط، وهو الموقف الذى ترغب عقولنا فى الهروب منه" [٢].

وعلى ذلك "فإن النظرة المأساوية نشأت بالتالى على أساس من المعرفة التشاؤمية، (فتلك المعرفة) لا توصى بعلاج لآلام الوجود، ولكنها فقط معرفة عامة Popular (شعبية) بعمقها وقوتها، فمعاناة ديونيسيوس "هى معاناة إنسانية بالأساس" [٣] والسؤال الآن : هل كانت النزعة التشاؤمية التى وُصفت بها فلسفة نيتشه مدعاة للانسحاب من الحياة نتيجة لما تشتمل عليه من آلام . كما كان الحال عند شوبنهاور ؟ وماذا عن خروجه تدريجياً من عباءة شوبنهاور وهل أثر ذلك في نزعته التشاؤمية ؟

إن ماهية الإنسان وماهية الكون الأصلية هى الإرادة، عند شوبنهاور، ولذلك فلا جدال فى أن الصورة التى ستُرسم لحياة الإنسان ولمجرى الكون ستكون قاتمة إلى حد بعيد، لأن الإرادة، فى نظره، مبدأً عاقل منظم يستهدف غايات محددة، ويسير نحو تحقيقها تبعاً لخطة مرسومة، وإنما، هى أساساً، اندفاع أعمى، وقوة طاغية لا ضابط لها ولا نظام، أما ذلك الذى يُطلق عليه اسم العقل، أو الروح، أو الذكاء، فما هو إلا أداة فى يد هذه القوة الغاشمة تتحكم فيها كما تشاء، وطالما أنها هى المبدأ الأساسى فى الكون، فلابد أن يكون تاريخ البشرية كله سجلاً للأعمال المتخبطة لهذه الإرادة، مثلما أن التاريخ الفردى حافل بالخداع، خلو من المعنى، ليس له نهاية سوى الموت المحتوم، فالعالم فى أساسه لا معقول، ومضاد لكل منطق[٤].

---

(1) Dienstag: Op. Cit., PP. 926-927.

(2) Ibid., P. 927.

(3) Op. Cit. Loc. Cit.

(٤) آرثر شوبنهاور : العالم إرادة وتمثلاً، د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٤.

ويركز شوبنهاور في رأيه عن التراجيديا على ما يُعرف "بشمولية المعاناة "Inclusiveness of Suffering"، ذلك أن المعنى الحق للتراجيديا هو الإدراك الأكثر عمقاً، لكون ما يدفع البطل ثمنه لا يتمثل فى خطاياه الخاصة به، وإنما فى خطيئة Sin الإنسان الأصلية : أى ذنب الوجود ذاته. وهذا هو ما بينه تعريفه للتراجيديا إذ يقول :

"يُنظر إلى التراجيديا على أنها ذروة الفن الشعرى سواء بالنظر إلى عظمة تأثيرها، أو بالنظر إلى صعوبة صناعتها. إنها ذات دلالة عالية لنسق (حياتنا) كله، وتستحق لذلك الملاحظة، وذلك لأن رسالتها الشعرية النهائية هى التمثيل الحق للجانب الأسيان من الحياة. إن الألم غير المفصوح به، وانتحاب الإنسانية، وانتصار الشر، وسخرية الحظ من البشر والسقوط (المدوى) للعدالة والبراءة، يمثُل أمامنا، وفيه مسحة لطبيعة العالم والوجود" (١).

ولأن المأساة تكشف لنا عن ذلك الجانب الرهيب من الحياة، أى عن شقاء الإنسانية، وسيادة الاتفاق والخطأ، وسقوط العادل، وانتصار الأشرار، فهى تضع أمام أعيننا طبيعة هذا العالم، تلك الطبيعة التى تصطدم مباشرة بإرادتنا، فنشعر بإزاء هذا المنظر بقوة تدفعنا إلى أن ننأى بإرادتنا عن الحياة جانباً، وإلى عدم الرغبة فى الوجود أو التعلق به (٢).

فالطابع المأساوى للحياة، يظهر أكثر ما يظهر، فى الحظوظ السيئة أو فى الأقدار المعاكسة التى تمثل الجانب الأساسى للمأساة، وهذه الحظوظ السيئة لها ثلاث طرق : فإما أنها تحدث من خلال صراع الفرصة والخطأ مثل أوديب، وروميو وجولييت، وإما أنها من خلال ما يمس الإنسان العادى فى حياته، وإما أنها تحدث من خلال ما تعبر عنه الحياة نفسها من طابع مأساوى . كما ظهر ذلك فى أعمال جيتة Goethe ويتعرض له الجميع بدون شروط استثنائية، أى يتعرض له البشر العاديين وكأنهم يعيشون فى جحيم (٣).

"فإذا كان جسم الإنسان يخضع لشروط الزمان والمكان والعلية، فإننا نشعر أيضاً بأن لنا كياناً آخر لا يخضع لهذه الشروط، ولا يتغير بتغير الزمان أو المكان، ويستطيع التغلب على قيود العلية، أو البدء فى أفعال جديدة، دون الخضوع لهذه القيود، ذلك الكيان هو "الإرادة"، فالجسم ذاته يعد بالنسبة لهذه الإرادة مظهراً لها، تدفعه حيث شاءت وتتحكم فيه

---

(1) Schopenhauer, Arther: The World as Will and Idea Translated from the German by R. B. Haldane and J. Kemp. (London: Kegan Paul, Trench, Trubner), Vol. 1, Seventh Edition, 1818, P. 326.

(٢) عبد الرحمن بدوى : شوبنهاور، وكالة المطبوعات، دار القلم، الكويت . بيروت، لبنان، ١٩٤٢، ص١٧١.

(3) See, Weitz, Morris: Tragedy, The Encyclopedia of Philosophy, Editor in Chief Paul Edwards. (New York: Macmillan), V. 8, 1979, PP. 158-159.

بشروطها الخاصة. فالماهية الأصلية للكون إرادة تتحكم فى الظواهر المادية مثلما تتحكم الإرادة البشرية فى ظواهر الجسم الإنسانى" [١].

ومن هذا المنطلق فإنه كما تقوم علوم الفيزياء والبيولوجيا، وعلم النفس بملاحظة الظواهر الكثيرة موضوعياً، وتحديد قوانينها فى المكان والزمان، وتعيين ما هو علة، وما هو معلول منها، فإن هناك مبحثاً آخر هو "الميتافيزيقا" مهمته أن ينفذ من وراء هذه الكثرة الموضوعية إلى الكيان الأصلى الذى يتحكم فيها، وهو "إرادة" العالم [٢].

والتساؤل الذى يطرح نفسه : هل استمرت نظرة نيتشه للنزعة التشاؤمية مجرد وصف لحقيقة الحياة والعالم شأنها شأن نظرة شوبنهاور – كما رأتها التراجيديا الإغريقية، وفلسفة ما قبل سقراط، وحتى الفترة الأخيرة من فكره ؟ إن ما اشترك فيه نيتشه إلى الآن مع أستاذه شوبنهاور هو النظرة الإغريقية ما قبل سقراط بأن التشاؤم أساس الحياة، وأنه على الفلسفة والدراما أن تصف الآلام الإنسانية بعمق مقدرة قوة تلك الآلام، ولكن لا تتجاوزها إلى تقديم علاج لها. فالمعنى الأسيان للحياة لا يمكن اختزاله بأنه مجرد شقاء، أو بتعبير أدق، عدم النظر إليه من زاوية سيكولوجية أو أخلاقية فحسب، بل النظر إليه بطريقة ميتافيزيقية.

٢- نقد نيتشه لتشاؤم شوبنهاور :
Nietzsche's Critique of Schopenhauer's Pessimism:

ومن خلال هذه المقارنة أيضاً بين نيتشه وشوبنهاور نتساءل : متى تصبح النزعة التشاؤمية نزعة عدمية Nihilism ؟ وما النقاط المشتركة بين تلك النزعتين ؟ وما الحدود الفاصلة بينهما ؟ وما موقف نيتشه الصريح فى تلك الحالة؟ فإذا كان معنى العدمية هو إنكار الوجود، ومن ثم إنكار كل شئ وأى شئ ؛ فهل هذا المعنى يتناسب مع ما صرح به نيتشه بعد ذلك من أن الإنسان يمتلك إرادة القوة التى تجعله يعيش بطريقة أفضل ؟ وهل متطلبات العدمية تلك تتناسب مع طبيعة ديونيسيوس، والتى تتمثل هى أيضاً فى التدمير والإفناء والتغير والتجدد المستمر ؟

ففى علاقة نيتشه بشوبنهاور يمكننا أن نرى أن هذا الأخير، قدم حكماً أخلاقياً ضد الحياة، ذلك أنه أدرك مثل اليونان ما يشتمل عليه العالم من تقلبات، وعدم النظام، والفوضى، أو العماء Chaos، وهذا ما اعتبره نيتشه إسهاماً كبيراً لشوبنهاور، وكان من الممكن له بذلك

---

(١) شوبنهاور : العالم إرادة وتمثلاً، ص ص١٢-١٣.

(٢) شوبنهاور : العالم إرادة وتمثلاً، ص ص١٣-١٤.

أن يعود إلى شئ مشابه لفلسفة ما قبل سقراط فى رؤيتها التراجيدية للحياة، ولكنه قدم حكماً ضد هذا العالم بأكمله استند إلى معيار أخلاقى ؛ أى أن شوبنهاور أراد أن يصف ذلك الكون غير المنظم، والمتقلب باستمرار والموصوف بالعماء بأنه "شر" بشكل عام. ولهذا كان نقد نيتشه له، لإقحامه الأخلاق فى النظرة الميتافيزيقية[١]، وهو الأمر الذى سنفصل فيه بعد قليل.

نعود فنقول إننا بذلك بإزاء نزعتين تتخطيان القول بنزعة مأساوية للوجود، فى مقابل أخرى تفاؤلية له إلى القول بنزعة تؤكد العدم، فى مقابل نزعة معتادة تؤكد الوجود. فلقد رفض شوبنهاور العالم المنظم المستقر والثابت (الخيّر) والمتصف بالوجود، أى النزعة التفاؤلية مؤكداً على أن الكون ملئ بالصيرورة الدائمة والسيلان والتغير (الشر)، ومتصف بالعدم، أى أنه آمن بالنزعة التشاؤمية فاقترب كثيراً من العدمية.

فتشاؤم شوبنهاور كان حاداً، لأنه لا يمكن معالجته حتى من الناحية النظرية، فالحياة فى طبيعتها، كانت فى نظره، وإلى حدٍ بعيد، شيئاً يستحق النبذ أو الرفض Rejection [٢].

ومن الجدير بالذكر هنا أن سقراط قد أقام تفاؤله على فكرة أن العالم له نظام، فإذا ما أُلغيت تلك الفكرة "فإن أخلاق سقراط يجب أن تختفى هى الأخرى، إلا أن شوبنهاور أنكر نتائج أنطولوجيته. ذلك أنه سعى لحفظ الأخلاق ... فعندما لا تعود الأخلاق تدعى أن لديها أساساً فى العالم الواقعى للأحداث، فإنها تكون حرة فى أن تدين العالم ككل أو تطور (ما يسمى) النزعة الفلسفية الإنتحارية الأصلية". ومن ثم فقد ربط شوبنهاور بين الأنطولوجيا والأخلاق فى مُركب غير متناسق، "فإن نيتشه كرر الإدعاء بأنه بدلاً من نبذ تشاؤمية شوبنهاور فإنه قد عمقها ... وبينما خلط شوبنهاور تشاؤمه بالأخلاق وقدمه فى صورة زائفة؛ فإن نيتشه أخذ على عاتقه أن يطهر النزعة التشاؤمية من جوانب النقص التى قدمها شوبنهاور، مؤسسها الحديث"[٣]. وعلى ذلك يكون التساؤل هو : ما الثغرات التى رآها نيتشه فى ذلك الربط الذى أقامه شوبنهاور بين الأخلاق والنزعة التشاؤمية ؟ وما معنى أنه عمّق تلك النزعة وطهرها من جوانب النقص ؟

يذكر شوبنهاور أن الذين وُهبوا العبقرية وسمو الروح، هؤلاء الذين برزت الناحية العقلية النظرية الروحية لديهم على الناحية الأخلاقية العملية الشخصية بمقدار هائل، هم

---

(1) Dienstag: Op. Cit., P. 929.
(2) Op. Cit. Loc. Cit.
(3) Ibid., P. 930.

دائماً فى الحياة العملية ليسوا فقط عاجزين مثيرين للسخرية، بل وأيضاً أحياناً كثيرة من الناحية الأخلاقية هم ضعفاء يثيرون "الشفقة Pity" أو هُمْ شبه أشرار(١).

أما نيتشه فإنه فى بداية نقده يرجع مفهوم الشفقة أو شعور الشفقة هذا عند شوبنهاور إلى عوامل نفسية تستند إلى رغبة الذات فى التقليل من حدة ألمها بسبب فقدانها لشئ من نرجسيتها Narcissistic، وأنانيتها، أى أن الذات، فى حقيقة أمرها، مجبولة على حب الأنا، فإذا ما ضعف شعورها بحبها لذاتها، فإن هذا يصيبها بالأسى، فيأتى شعور الشفقة ليخفف من هذا الألم، أى أنه يخضع هذا لعوامل نفسية.

وفى هذا الصدد يعقد "أور Ure" مقارنة بين نيتشه وشوبنهاور. فالنظر إلى الشفقة من الزاوية النفسية باعتبارها تخفيفاً من ضعف الشعور بالنرجسية يتعارض مع ما ذهب إليه شوبنهاور من أن الشفقة هى المصدر الوحيد لإظهار الاهتمام بالآخرين، ومن أجل الآخرين. وبتعبيرات أور "فإن رأى نيتشه هذا يتعارض مع ما قدمه شوبنهاور من أخلاق الشفقة "Ethics of Pity" (٢).

وعلى ذلك فإن الفيصل فى تلك الجزئية، هو أن الشفقة عند شوبنهاور تنحو منحى ميتافيزيقياً (انطولوجياً) كونياً نظراً لأنها، فى حقيقتها، مظهر، شأنها شأن أمور أخرى، يعبر عن إرادة واحدة للحياة ؛ ولهذا فإنها لا تسفر – كما هو الحال عند نيتشه – عن تزكية لروح الأنانية، وبالتالى النظر إليها من زاوية سيكولوجية فحسب(٣).

وتبعاً لذلك فإن المثل الأخلاقية لشوبنهاور مختلفة عنها عند نيتشه وتستلزم كيفيات مختلفة أيضاً. فبالنسبة لشوبنهاور فإن "الإرادة القصوى للوجود الإنسانى موجودة فى نفى إرادة الحياة. وأول نقطة للحصول عليها هو التعاطف مع آلام الآخرين، التى من خلالها يستشعر المرء الوحدة الكامنة فى الحياة كلها. بل وفى الوجود كله". إلا أن هذا الشعور متى دُعم فإن كل ما يُبذل من جهد بعد ذلك يكون عبثاً، فالحياة ذاتها، فى تلك الحالة، لا تستحق التفكير فيها، ومن ثم فإن المرحلة النهائية لها هى ذلك الصمت التام، والنفى للحياة الطبيعية والشعورية سواء بسواء(٤).

---

(١) عبد الرحمن بدوى : شوبنهاور، ص٢٩.

(2) Ure, Michael: The Irony of Pity: Nietzsche Contra Schopenhauer and Rousseau, Journal of Nietzsche Studies, No. 32 (Autumn, 2006), P. 68.

(3) Ibid, PP. 70 – 72.

(4) Dolson, Grace Neal: The Influence of Schopenhauer Upon Friedrich Nietzsche, The Philosophical Review, Vol. 10, No., 3 (May, 1901), PP. 248-249.

إلا أن نيتشه كان على النقيض مما قال به شوبنهاور. فنيتشه يرى أن ما تحدثت عنه التراجيديا من مصير محتوم للإنسان لا يؤدى إلى التشاؤم رغم كونه يدل على ذلك فى الظاهر. فالتشاؤم، فى نظره، يُفضي إلى التفاؤل، ومنطقه فى ذلك أن ما يؤدى إلى السرور والراحة هو أن يستغرق الإنسان فى الألم، ففقد الشعور بالسعادة أدعى إلى جلبه مرة أخرى والاحتفاظ به. ولذلك هو يقول : "إننى اعتبر نفسى أول فيلسوف تراجيدى، أى المضاد الشديد المخالف للفيلسوف المتشائم" (١).

ولكن السؤال الميتافيزيقى الآن : كيف تنبع الأخلاق وبالتالى الأفعال غير الأنانية من ذات أنانية ؟ أو – كما وضعها نيتشه – "كيف يمكن للعيش من أجل الآخرين أن يُشتق من الأنانية" ؟ إذا كان حل المشكلة الأخلاقية عند شوبنهاور يتمثل فى مشاركة الأفراد كلهم فى هوية identity واحدة، فإن ضعف ذلك هو ما يدعو إلى الشفقة، وكأن هذه المشاركة الجماعية فى إرادة الحياة، وما يعتريها من ضعف، هو الذى يؤدى إلى فعل الشفقة، أى أن الشفقة هنا تأتى كرد فعل عند شوبنهاور، وبتعبير أدق، فإن ما رآه شوبنهاور من مهمة، هو شرح لكيفية التغلب على لا أخلاقية الأنا من خلال فعل الشفقة. ومن ثم يشير شوبنهاور إلى أن هناك "هوة gap" بين الأنا وبقية العالم. والسؤال : كيف التواصل إذن ؟ لعل شوبنهاور يرى الحل الميتافيزيقى هنا فى "إرادة الحياة الكلية" (٢).

وفى ظل هذه المقارنة المستمرة بين رأى شوبنهاور ونيتشه حول الأخلاق، "فإن شوبنهاور قد اعتمد على المقولات الأخلاقية فى تمرير حكم نهائي على العالم، ورفض نيتشه هذه المقولات. ولكن كان نقده هو ... بمثابة تكثيف intensification، لأنه حرر تشاؤم شوبنهاور (الذى هو، بعد كل شئ، إسهامه الأصيل) من الأخلاق الشائعة المغلفة بها. فالهجوم على شوبنهاور، هو بالتالى، فعل للولاء Loyalty، وهو ما يترك نيتشه حراً ليجرب تلك النزعة التشاؤمية بطريقة غير متاحة لشوبنهاور – وغير متاحة فى الحقيقة لأى فيلسوف فى الغرب منذ سقراط – الذى سمم التشاؤم الإغريقى بما قدمه من أخلاق متفائلة" (٣).

وعلى ذلك "فإذا كان هذا – أى ما سبق – يعنى مواجهة رهبة العالم الذى وجده شوبنهاور، وكذلك الإغريق ما قبل سقراط، بالنظر إلى العالم باعتباره سيلاناً وصيرورة، فإن

---

(١) فريدريك نيتشه : هذا الإنسان، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص٨٦.

(2) Ure: Op. Cit. P., 72.

(3) Dienstag: Op. Cit, P. 930.

منظور نيتشه على الأقل يقدم الفرصة كى لا يستسلم للعدمية التى ترفض الحياة ككل". فالأخلاق تدفعنا إلى الحكم على العالم ككل، وهذا معناه أنها قد تحكم على العالم بالفناء أو عدم الإمكان حال أن هناك سوء أخلاق [١]، بمعنى أنه إذا نُظر للعالم من الزاوية الأخلاقية على أنه فساد، فإنه فى تلك الحالة يقترن بالعدم.

إلا إنه إذا كان ثمة فضل لتلك النزعة العدمية التى انتهى إليها شوبنهاور بحكمه الأخلاقى على العالم، فإنه يتمثل فى تلك النزعة العدمية التي هى تحرر الإنسان، من منظور نيتشه، من كراهية العالم، مما يتيح التخلص من عبث الحكم الأخلاقى عليه [٢].

وتبقى الأنانية هى المحك الرئيس فى فهمنا لممارسة الإرادة عند نيتشه، فإذا كان الفرد هو المنوط به تفعيل إرادته فى العالم بمعزل عن تأثيره فى الآخرين، أو تأثير الآخرين فيه، على نحو ما أرادت بذلك أخلاق الشفقة، فإن المسألة تبدو أمامنا تقترب أكثر فأكثر من الدلالة الكونية الأنطولوجية، ولذلك فإن ما يعبر عن موقف نيتشه عن التشاؤم مقارنة بموقف أستاذه، هو ذلك القول بأن : "نيتشه رفض شوبنهاور رغم إمتنانه بما قدمه له من تعليم، لا لأن شوبنهاور كان متشائماً كثيراً، ولكن لأنه لم يكن متشائماً بما فيه الكفاية" [٣].

٣- التشاؤم الإيجابى عند نيتشه : التشاؤم الديونيسى :

Positive Pessimism according to Nietzsche: Dionysian Pessimism

ولكن كيف يكون التشاؤم هو نقطة بداية وليست نهاية، وبالتالى لا يكون وقوداً للعدمية ؟ إن الإنسان المتشائم الذى يمر بمصاعب الحياة، والذى يحكم على العالم بأنه ليس له قيمة، ويرى كل شئ فى نطاق الإحباط واليأس، هو ذاته الذى يمكنه أن يجعل لحياته معنى متى تخلى عن الأخلاق التقليدية وأزالها، وتخلى أيضاً عن قسمة الحياة إلى خير وشر، ومتى انطلق بفاعليته إلى تأسيس عالم جديد، دون النظر إلى ما لا يتخطاه، أى دون أن يتحول إلى إنسان رومانسى يبحث فى الحقائق الخالدة. فهاهى "مطرقة Hammer" نيتشه التى يمكنها أن تهدم – كما يمكنها أن تبنى – مطبقاً ذلك على مصطلح "التشاؤم". كأداة للهدم والبناء، فالذى يُمسك بتلك المطرقة هو من كانت لديه القوة، لأن الهدم أو البناء متوقف على مدى تلك القوة، فالهدم – كما يراه نيتشه – هو هدم لكل ما هو تقليدى،

---

(1) Op. Cit. Loc. Cit.
(2) Op. Cit. Loc. Cit.
(3) Ibid., P. 931.

والإنسان عليه أن يفترض أن البناء منبثقاً من الهدم، أى يكون لديه الأمل فى وقت يشعر فيه ببعض التشاؤم [١].

"وعلى ذلك فالإنسان يحتاج فقط لافتراض أن كل دوافع العقل هى ظواهر مختلفة لصورة واحدة للإرادة، وهى إرادة القوة" [٢]. فالإرادة إذن عند نيتشه وعند شوبنهاور تقوم فى الأصل على الاختلاف بين معنى "إرادة الحياة ... وإرادة القوة Will to live ... will to power"[٣].

فإرادة الحياة عند شوبنهاور ليس لها انتقاء للأشياء التى تعبر عنها، وهذا معناه أن الأشياء كلها لها الحق فى أن تعيش فى ظل إرادة كلية، وهذا يرتبط بمعانى التسامح، والتعاطف، والشفقة، فى حين أن إرادة القوة عند نيتشه تستند إلى انتقاء ما يعبر عنها، وما تفرضه من سيطرة عليه. ومثال ذلك صلة الإرادة الإنسانية العاقلة بمحيطها، وهذا يحمل معانى الصراع، والقلق، والإعلاء من شأن الذات والتفوق، بل والأنانية. ومن ثم فإن الإرادة عند نيتشه هى التى تفرض نفسها على عالمها المحدد باختياراتها ووعيها، بينما إرادة أستاذه هى هدف للظواهر فى الحياة.

باختصار فإن الإنسان عليه أن يبنى عالمه بقدراته وبمحض إرادته دون اللجوء إلى تقييمات تقليدية، أو نظرات فوقية، حتى وإن عاش بين شرور العالم ومآسيه. ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هو : هل الإرادة وحدها تكفى للبناء بعد الهدم ؟ نعم إن الإرادة تكفى للبناء بعد الهدم إذا نُظر إليها كقوة تجمع شتات العالم ووضعه فى شكل وإطار معين لا دخل للتغير أو الزمن أو الهويات أو التقاليد فيه، والمثال على ذلك هو المهندس المعمارى الذى يضع تصميمه وبناءه فى صورة معينة، ولا يهمه بعد ذلك إن كان من يأتى بعده يقتنع به أم لا ؟ ولا دخل لعوامل الطبيعة له فيها إن كان يصمد أمامها أم لا. المهم أنه وضعه وفق إرادته هو، وقوته، وتصوره هو[٤].

وبهذا الشكل يصبح للتشاؤم ضرورة، نظراً لأنه يمثل حافزاً لبناء ما هو جديد، وطرح ما هو قديم بعد الاستفادة منه. وهذا على العكس مما يمكن أن يصيب الإنسان من سلبية وتراخ إذا هو أدرك أن كل شئ على ما يرام. "فالنظر للتشاؤم باعتباره يقود إلى الانسحاب

---

(1) Ibid., P. 932.
(2) Dolson: Op. Cit. P., 244.
(3) Choron, Jacoues: The Romance of Philosophy, the Macmillan Company, New York, Collier Macmillan LTD., London, 1963, P. 271.
(4) Dolson: Op. Cit., P. 244.

هو بطبيعة الحال يشتمل على مفهوم يعزز اللامبالاة...، ويقترح نيتشه ... النقيض. فالتشاؤم هو دعوة لفحص نقدى جديد للطبيعة والتاريخ، حتى إن تلك العناصر فى الحياة التى نعتبرها قبيحة وشريرة، وأنها أحد النتائج لهذا الموقف عندما نتطلع إليها مرة أخرى . بدون عدسات رمادية للأخلاق، فإنه يمكننا أن نراها بمناظير مختلفة" [١]. ولكن كيف يمكن ذلك ؟ هل يعود نيتشه إلى منابع الدراما الإغريقية من جديد كى يجد فيها النموذج المعبر عن إرادة القوة مثلما وجد فيها لوصف الحضارة الإنسانية ككل ؟

وهنا يبرز استلهام نيتشه للروح الإغريقية الحقة، تلك الروح التى مثلها ديونيسيوس خير تمثيل، نظراً لأنها حملت فى طياتها تناقضات الحياة من ثبات فى مقابل التغير، وبناء فى مقابل الهدم، وتجدد فى مقابل الركود، والجانب المشرق من الحياة فى مقابل جانبها الأسيان، والحياة من براثن الموت، بل وعملت – كخلاصة لذلك – ما أُطلق عليه اسم "العود الأبدى Eternal Recurrence" حيث هدم التراث والبناء على أنقاضه من جديد بعد الاستفادة من ذلك القديم، ثم الحفاظ على ذلك البناء من أى جديد يطرأ عليه، ومن ثم احتواؤه على التشاؤم، ولكن التشاؤم القوى، أو ما يمكن وصف هذه الحالة بالتشاؤم الديونيسى، "فمعاناة الإنسان الفرد قادرة على أن تدفع الأشياء كلها للتغيير، وهذا هو الشرط الذى ليس لدينا خيار إلا أن نقبله برمته" [٢] ولكن السؤال : هل كل شئ خاضع للتغيير ؟

وعلى ذلك يحول نيتشه الأمر إلى رغبة الأفراد، بمعنى أن اعتقاده الفردى هو أن إبداع قيم جديدة هو أمر يجب أن يأخذه كل منا على عاتقه [٣]. ولكن هل معنى هذا أن نيتشه ترك الأمر مفتوحاً ولم يحدد القيم الجديدة التى يقصدها ؟ وماذا عن التشاؤم الديونيسى فى تلك الحالة ؟ هل يكون بمثابة نسق للقيم ؟ "إن التشاؤم الديونيسى ليس نسقاً فى ذاته للقيم، ولكنه بمثابة رثاء Pathos يلقى الضوء على ما يمكن أن يكون مناسباً لأن تعيش حياة جيدة فى الحقبة التى تلت موت الإله. فهذا التشاؤم هو نوع من فن الحياة، إنه حياة الممارسة Life – Practical التى يوصى بها نيتشه، على الرغم من أنها ليست لكل فرد"[٤].

ولكن إلى الآن : ما إسهام ذلك التشاؤم الديونيسى ؟ وهل هو مجرد هدم ونفى لما هو قديم فقط، أم أنه إضافة لجديد ؟ وإذا كانت الإجابة بأن هذا التشاؤم الديونيسى جاء لإضافة الجديد، فكيف كان ذلك ؟ وما المقصود بمعنى "فن ممارسة الحياة" هذا الذى قرنه نيتشه بالتشاؤم الديونيسى ؟ وما الدور الذى يلعبه هذا التشاؤم فى العود الأبدى ؟

---

(1) Dienstag: Op. Cit. P. 932.

(2) Dienstag: Tragedy, Pessimism Nietzsche, P. 93.

(3) Dienstag: Nietzsche's Dionysian Pessimism, P. 933.

(4) Op. Cit. Loc. Cit.

وفى إطار محاولة الإجابة عن تلك التساؤلات كلها، فإنه يمكننا القول بأن الإجابة تتركز هنا فى نظام "الحياة ككل Life as a whole" أو "العالم كما هو، وما سوف يكون عليه دائماً"، وفى ذلك تكمن المخاطرة من ناحية، والتأكيد على الظلمة والغرق فى الجهل، من ناحية أخرى، وفوق كل ذلك نجد نيتشه يقول : "إنه قرار للترحيب بالمستقبل المبهم، وقبول بالماضى غير المرئى أكثر من التشبث بالحاضر المألوف Familiar"[١].

فالديونيسية هى انتصار للتغير، وتجدد الحياة بعد موتها، فالحياة الحقيقية هى فى استمرار الديونيسية، والحياة الجماعية بالإنجاب، وهذا لا يتحقق إلا على حساب المعاناة، كما أنه لابد من دفع ثمن تلك الولادة الجديدة باستمرار، "فكل ما يضمن ألم الصيرورة نجده فى ألم المخاض، فهو ألم مقدس، وهذا ما يحدث فى كل عام ممثلاً فى احتفالات ديونيسيوس بخصوبة الأرض، ومن ثم يصبح بذلك وسيلة لاستجلاب السرور فى قلب المعاناة، فالفرح فى أن يصبح لديك إمكانية للتدمير لخلق واقع جديد للكائنات برؤى جديدة ومن ثم إبادة التشاؤم، فالأنا تظهر ذروته فى الديونيسية، والفرح، والجمال، وأيضاً فى تدمير الأوهام" [٢] "فالديونيسى عند نيتشه هو انتصار "نعم" للحياة خلف الموت والتغير" [٣] والسؤال: هل من الممكن للإنسان أن يجمع بين تلك الأحاسيس المتضاربة بهذه السهولة ؟

إن ما ينشده نيتشه أمر يصعب تحقيقه، فهو قد عرف "أن مثل هذه الفكرة تمثل عامل قلق للأغلبية". فليس كافياً "أن نسحب إدانتنا للمعاناة، وأنه ليس كافياً أيضاً أن نركن إلى لا مبالاة إلحادية، وأن نتعايش مع المعاناة الضرورية" ؛ إن ذلك يجعل موقف الإنسان من الوجود والحياة نفسها موقفاً لا أدريا agnostic، وهو موقف غير مطلوب، فعلى الإنسان أن يحسم أمره، ولذلك فإن نيتشه يصور فكرة العود الأبدى بأنها شئ يفرضه الشيطان على ضمائرنا، "فإرادة العود الأبدى هى إرادة المعاناة اللانهائية"[٤]. ولكن السؤال : لماذا نرفض معاناتنا، ولا نرفض معاناة الآخرين ؟

إننا إذا اعتبرنا أن المعاناة جزء من الحياة ونحن عاجزين بإزائها، فإننا بذلك نعود إلى موقف شوبنهاور، فلماذا لم نستبعد هذه الحياة المليئة بالمعاناة – كما رأى شوبنهاور ذلك؟ ولماذا لم ننسحب منها ؟ "إن نيتشه لا يستطيع أن يعطى أية إجابة تريحنا، إنه لم يكن فى

---

(1) Op. Cit. Loc. Cit.

(2) Dienstag: Tragedy, Pessimism Nietzsche, P. 92.

(3) Dienstag: Nietzsche's Dionysian Pessimism, P. 933.

(4) Ibid., P. 934.

مقدوره أن يعرض ... أى سبب مقنع لتفضيل التأكيد على الإنكار، ففى عالم السيولة لا يمكن لمثل هذا العقل أن يوجد بشكل مستمر، وهذا هو السبب فى أن نيتشه يشير إلى القوة – لا بالنظر إلى البقاء للأقوى، والفناء للأضعف – ولكن بسبب أن هؤلاء الذين يثبتون قوتهم هم الذين لديهم القدرة على السيطرة على بشاعتهم بشكل دائم وكافٍ كى يمنحوا أنفسهم ... سبب الحياة"[١].

من هنا فديونيسيوس لم يستبح متعته من معاناة الآخرين، بل كان قراراً للمستقبل أكثر منه للحاضر. فسعادتك فى أن تصبح بدلاً من أن تكون، وأنك سعيد يعنى أن تكون الأمور دائماً متغيرة. فالمستقبل قادم دائماً، والحاضر يمر دائماً بعيداً. والفرح يقع دائماً فيما هو آت، أى هو ما يحدث فى المستقبل. لذا نجد نيتشه يقول : "يحتم عليكم أن تبدأوا بخلق ما كنتم تسمونه عالماً من قبل، فيتكون عالمكم من تفكيركم وتصوركم، وإرادتكم، ومحبتكم، وعندئذ تبلغون السعادة"[٢]. إذن هذا ما كان فى ذهنه وهو يتحدث بتلك العبارات، ذلك أنه كان يتحدث عنها كعود أبدى.

فما يدعونا إليه نيتشه، إنه يجب علينا أن نأمل فى غياب التوقع بالتقدم Progress، فإذا لم يكن هذا له قبول عند المعاصرين، فإن ذلك يرجع ربما إلى أننا قد أُخبرنا لمدة طويلة بأن التقدم هو الشئ العقلانى الذى يجب أن نأمله [٣]. ومن ثم فإن نيتشه ما زال يلعب على وتر التناقضات، فالألم لابد أن يوجد ويستمر كى يشعر الإنسان بالمتعة، والحاضر يجب أن يُلغى كى يتأكد المستقبل، وأن يكون الإنسان دائماً فى ترقب للمستقبل، فالمسألة إذن ليست تغير، بل هى، فى حقيقة الأمر، رفض الحاضر من أجل صيرورة المستقبل، وبالتالى فإن الأمل فى الشئ لا يمكن الوصول إليه من خلال استنتاجاتنا المنطقية المعتادة.

فالحاضر عند نيتشه هو الأخلاق المعتادة، والطرق المألوفة فى التفكير، باختصار هو عالم كل ما هو مألوف ومكرر. وهذا هو العالم الذى يثير كراهية نيتشه، لأن الحياة هى فى تجددها وصيرورتها دائماً، وفى الأخذ من الماضى والانطلاق إلى المستقبل، ثم إنه ليس هناك قوالب للقيم التى يمكن أن تحل محل ما هو مألوف، بل هناك طريقة تفكير متجددة فى الأمور والأشياء كلها، فهناك نسق للحياة مختلف هو النسق الديونيسى الذى تتداخل فيه المتناقضات كى تتكشف الحياة. ووفقاً لهذا النسق الديونيسى يصبح تشاؤم الإنسان ومعاناته

---

(1) Op. Cit. Loc. Cit.

(٢) فريدريك نيتشه : هكذا تكلم زرادشت، المكتب العالمى للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، ص١٠٤.

(3) Dienstag: Nietzsche's Dionysian Pessimism, P. 934.

مـن تفاؤلـه وسـعادته، فالمسـألة تخضـع إذن لإرادة القـوة، التـى يمكنهـا أن تتحمـل تلـك التناقضـات، فتنطلـق بهـا للمسـتقبل، والتـى عليهـا أن تلعـب دوراً أكبـر مـن دورهـا الإنسـانى، باختصـار فـإن نيتشـه الشـغوف بآلهـة اليونـان، كـان يريـد أن يكـون الإنسـان شـبيهاً بهـا فـى صـراعها مـع الحيـاة، وارتفاعها فوق المعانـاة الناتجـة عن التشـاؤم والمتمثلـة فـى ديونيسـيوس "السوبر مان". ولذلك فإن الأفكار المعهودة عن التقدم، وهى الأفكار العقلانية، لا تمثل شيئاً بالنسبة لنيتشه، "فديونيسيوس قطع على نفسه وعداً بأن يكون أبدياً. وإذا كان هناك أحد يقبل النظرة المتشائمة للعالم كمكان للفوضى والتنافر، فإن الأخير يواجه خيار التراجع عن ذلك جملة، أو يسعى لسماع صوت الإنسجام من خلال تلك الصراعات ككل" [١].

ومن هذا المنطلق فإن الاختلاف بين نيتشه وشوبنهاور فى علاقتهما بالتشاؤم يتمركز فى نظرتهما تجاه القدر فى صلته بالزمان. فشوبنهاور يحل مشكلة الزمان بأن يطالب الإنسان بالانسحاب من حياة الإرادة طالما أن هذا ممكناً، أما نيتشه فينظر فى إبقاء الإنسان على مكانته فى الزمن بأنه جنون، ونتاجاً لروح الانتقام، أو باعتباره مرضاً للإرادة، ذلك أنه يرى أن زمانيتنا تشرطنا ولكنها لا تعتقلنا. فتشاؤم شوبنهاور يعترف بقوة الماضى دون فتح أفق للمستقبل، وفى هذا جنون، لأنه يقوم على العداء للوجود، وذلك ما يرفضه نيتشه "فالزمانية، ليست مجرد تحديد، ولكنها مصدر لما هو ممكن، فالخلاص من الماضى الذى يتطلع إليه نيتشه... هو على الأقل ليس مستحيلاً، ذلك أن تشاؤمه يسمح بوجود الممكنات"[٢].

"فمثال نيتشه لحياة الإنسان البطولية هو، فى نهاية المطاف ... نوع من المحاكاة Imitation أو التقليد أو التجسيد للإنسان الفرد فى لاهوت ديونيسيوس والذى وضح فى مشروع "زرادشت" للإنسان الذى هو تجسيد كامل لتلك الطاقة الإلهية التى هى الإرادة"[٣]. وفى هذا فإنه يقول : "ما كان هذا الإله إلا إنساناً، بل جزءاً من شخصية إنسان، لأنه نشأ من ترابى ومن لهبى"[٤]. والسؤال الذى يطرح نفسه إذن : هل مفهوم مثل "التشاؤم الديونيسى" يمكن أن نلتمسه فى الواقع، وبالتالى لا نرفض إمكان وجوده فى المستقبل ؟

---

(1) Dienstag: Tragedy, Pessimism Nietzsche, P. 93.

(2) Dienstag: Nietzsche's Dionysian Pessimism, PP. 934-935.

(3) Sokel, Walter H.: On the Dionysian in Nietzsche, New Literary, Vol. 36, No. 4, on Exploring Language Philosophy, Poetry and History (Autumn, 2005), P. 507.

(٤) نيتشه : هكذا تكلم زرادشت، ص٤٩.

كما أوضحنا فإن الفهم الشائع للتشاؤم، بمعنى أنه يقود إلى اليأس والإنسحاب، هو أمر غير مقبول عند نيتشه، ويؤخذ مأخذ النقد على شوبنهاور. فها هو يذهب إلى "أن التشاؤم الديونيسى يخلق ... بديلاً هو الشك doubt بلا هوادة فى أفكار التقدم كلها ... ولكن ليس كموضوع لليأس ... إنه يتطلع إلى مستقبل لامع يتوقع حدوث الأشياء الجميلة، ولكنه مصحوب بالأمل القائم فى الحصول على المتعة فى تلك السياقات المستمرة من التحول والهدم، التى تميز الشرط الإنسانى" (١).

فالعالم فى تغير مستمر وعلى الإنسان أن يشعر دائماً بالتجدد على نحو تبرزه رقصات ديونيسيوس مع الجوقة Chorus، فالرقصات الطقسية لديونيسيوس تعبر عن عود أبدى يمثل وحدة الوجود، وإعادة الدورة الأبدية للتاريخ. فهو هدم وبناء فى صورة متكررة للحصول على الأفضل. تلك الصورة للعود الأبدى لاقت اعتراضاً من قِبل الذين وجدوا فيها دائرة مغلقة فى ذاتها على ما فى داخلها من أحداث كلية تحدث ويتكرر حدوثها بشكل كلى سرمدى. أى أنه ليس هناك جديد يثير الدهشة ويعطى أملاً فى الحياة. ولذلك "كان رد الفعل تجاه هذه الفكرة هو التشاؤم المطلق، والإحباط اللانهائى، والشعور باستحالة النجاة نتيجة لذلك"(٢).

أما نيتشه، وخلافاً لذلك الاعتراض على مفهوم العود الأبدى، فإنه يُبدى إعجابه بعالم ديونيسيوس المعبر عن إرادة كونية تجمع بين البشر، وتخرج بهم إلى عالم الإتحاد به فى صورة كلية قريبة الشبه بالعالم الذى صورته الرواقية كعالم لإنسجام الإرادة الكونية مع إرادة البشر. فلقد عبر ديونيسيوس عن الإيمان بالجماعية التى لم تكن حالة من الثبات. بل كانت قوة وطاقة حيوية تدفع إلى التغيير، فرقصات الجوقة تعبر عن الخلق والتدمير أيضاً من ولادة وموت فى جولاتها، وهى بذلك بمثابة عود أبدى للإرادة فى صورة كلية جماعية. وبذلك نجد ثمة تجاوزًا للفردية من خلال تلك الجوقة التمثيلية، بل ومن خلال جوقة الحياة الاجتماعية بل والعالمية أيضاً. فهى تترك وراءها الأبطال الفرديين المتساقطين، كما أن لتلك الجوقة الكلمة الأخيرة التى تحمل المواساة الديونيسية. فالحياة الفردية تأتى وتذهب، تصعد وتهبط. ولكن الوجود الأبدى هو حقيقة التغير الحادث فى الكون، والذى يتحقق بالانهيار ثم البناء، وبالموت ثم الحياة (٣).

---

(1) Dienstag: Nietzsche's Dionysian Pessimism, P. 935.

(2) Sokel: Op. Cit., P. 504.

(3) Ibid, P. 503.

"إن هؤلاء الذين يعتقدون أن التشاؤم يقود إلى الإنسحاب يرون البشر كأنهم كائنات ضعيفة، وهؤلاء هم من يجب أن يكون لديهم معان متعالية من أجل أن يبقوا Survive. ولكن المتشائمون لا يحتاجون إلى الاعتقاد، بأن فناء الاعتقادات التقليدية يقود حتماً إلى التشتت aimlessness، والانتحار. بل بالأحرى، إن هؤلاء الذين يخشون التشاؤم، أو يخشون إبطال الأخلاق التقليدية هم الذين يبقون فى هذه الحالة (من التشتت والانتحار)" [١]. ولكن ما معنى أن يسير الإنسان خلال الحياة دون توقعات ؟

فإذا ما أردنا أن نحلل ذلك نيابة عن نيتشه، فإننا نجد أن ما ينادى به أو رغبته الحقيقية ؛ هو عدم التقيد بصورة واحدة للعالم. إلا أن هذا من ناحية أخرى، لا يعنى أن نيتشه ينقد فكرة أن يحوز الإنسان بقدر عمله مكاناً فى هذا العالم، بشرط ألا يتطلب ذلك تهذيباً لفعله، ووضع حدود مشروطة لنيل جنته على الأرض، فهناك نوع من الحرية يحوز عليه المرء حين ينفصل بوجوده عن روايات التقدم، والحرية من الماضى أيضاً.

وعلى ذلك فإن "التشاؤم بتحريرنا (من كون التاريخ رواية عن التقدم)، إنما يحررنا، فى آن واحد، من أن نكون عبيداً للماضى". فهدم الأشياء كلها عن طريق الزمن، أو بمرور الزمن، ليس حكماً عليها من زاوية الأحقية Worth، فالتحول المستمر يذكرنا أن قدرنا ليس ثابتاً، وإن لنا على الأقل دوراً فى أن نحدده أو نشكله. وتبنياً لرأى نيتشه هذا فإنه "بدلاً من أن يقيّم الإنسان نفسه بأن يكون جزءاً من سلسلة طويلة من التقدم، فإنه يمكن أن يقيّم البداية الجديدة له، والتى يتخذها لنفسه، فبدلاً من البحث فى المعانى المتعالية فإن المرء يمكنه" – كما يذهب نيتشه – "أن يعطى العالم الأرضى earthly المعنى الإنسانى" [٢]. والسؤال : هل يصلح هذا التكنيك عند كل فرد، وبتعبير أدق، هل يصلح هذا عند من يمتلكون ثوابت ؟

إن مثل هذا التكنيك ليس فى مقدور كل البشر، ذلك أنه يتطلب – كما يرى نيتشه – أناساً لا ينشدون موضوعات إيمانية عالية، إنه يتطلب أناساً يمجدون الإنسان ولا ينقصونه حقه، وهذا النوع من البشر، يصفه نيتشه بأنهم فقط الأقوياء الذين يملكون القدرة على الهدم دون أن يفسحوا المجال للشفقة أو الإنسحاب [٣].

فخفوت الأمل والطموح دليل على وصول إنسان ما إلى أعلى درجات بطولته، ودليل كذلك لدى البعض على أن فكرة العود الأبدى هى أولاً، وقبل كل شئ، فكرة أخلاقية نظراً لأنها

---

(1) Dienstag: Nietzsche's Dionysian Pessimism, P. 935.

(2) Ibid, P. 936.

(3) Op. Cit. Loc. Cit.

"تضع كل فرد فى تحدٍ كى يعيش حياة (بطولية)، حياة تستمر إلى الأبد، فالموعظة هنا هى أن تعيشوا حياة تستحق أن تتكرر إلى الأبد، لهذا يصرّ نيتشه على هذه الطريقة التى يتمنى للجميع أن يتخذوها كى تصبح قانوناً عالمياً، وضمان حتمية العود الأبدى هو أن تعيش بمثل هذه الطريقة التى تود أن تعيش بها فى حياتك الفعلية الحالية، وتستمر بها إلى الأبد"(١). وعن ذلك يقول أيضاً : "أنا هو زرادشت مؤكد الحياة ومؤكد الألم، ومؤكد الدائرة الأبدية"(٢).

وعلى ذلك فإن الإنسان عليه أن يهيئ حياته وفقاً لما يحبه فى حاضره فيكون استقراره وقد اختار تلك الحياة، وأن يستمر إلى الأبد دون أن يهدم اختياره ؛ حتى وإن كان الجديد البعيد عن هذه الدائرة المتكررة هو الأفضل. فعلى الإنسان أن يهدمه كى يحافظ على المستوى الذى أراده إلى الأبد، فهو لم يقصد بالهدم، الهدم الكلى فى كل مرة، بل أن يتم هذا الهدم الكلى فى أول مرة فقط وبعد أن يتوصل الإنسان إلى المستوى المُرضى، فإن عليه أن يحافظ عليه ولا يهدمه، بل يهدم ما يستجد عليه. وبذلك يستمر مبدؤه إلى الأبد.

ولا يعنى ذلك فقدان الأمل، رغم أن الأمل يطرأ على ما هو جديد، فكيف يكون المرء عُرضة للتشاؤم، والاكتئاب إذا كان راضياً منذ البداية بذلك المبدأ الذى يحميه من التغيير. غير أنه حباً فى مبدأ العود الأبدى هذا، فإنه يرى أنه من الممكن هدم هذا الأمل ذاته حباً فى هذا المبدأ. لذلك يقول نيتشه : "أمرت الناس بأن يهدموا كل قديم، وأن يقفوا أمام كل عقيدة هرمة ضاحكين مستهزئين بمعلميهم وقديسيهم ... ومخلصى عالمهم"(٣).

وخلاصة القول إن على الإنسان أن يهدم ما بالخارج وصولاً إلى مبدأ مُرضٍ له، أى ينظر إلى العالم فى طبيعته، ويحيل كل ما يستحق التغيير إلى داخله بشكل يتيح له أن يندمج فى الطبيعة. ولذلك فالتغير الذاتى يتواكب مع الاستقرار الخارجى، وبذلك تتحقق سعادة الإنسان فى المحافظة على ما بداخله من عالم إلى الأبد، لأنها من صنعه هو، وبهذه الجدلية يصبح الإنسان سيداً على ذاته وعلى عالمه، أى يصبح بطلاً ملحمياً من أبطال الأساطير.

وبالتالى فإن الرسالة التى نقلها الفكر عن العود الأبدى هى أكبر بكثير من مجرد دليل أخلاقى فحسب لإيجاد مبرر لحياة واحدة، وذلك لأنها تبشر أيضاً بأبديته، وما بدا كرعب عظيم هو، فى الواقع، الأكثر عظمة. "فمذهب العود الأبدى هو رسالة قريبة من الإنجيل، بوعده بالحياة الأبدية لكل فرد، وبالتالى فهو أكبر بكثير من مجرد تحد أخلاقى، فهو أخلاق

---

(1) Sokel: Op. Cit. P. 505.

(٢) نيتشه : هكذا تكلم زرادشت، ص٢٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص٢٠٤.

وجودية أكثر منها معنوية، معبراً بذلك عن بهجة المحتفين بديونيسيوس، وبالتالى فتلك المهرجانات هى جزء من التأكيد على نشوة النفس، وليس فقط الفردانية، ولكن أيضاً الخلود لكل إنسان، كما أنها لم تكن مجرد ترويح، بل أصبحت زمناً تستوعبه رقصة مستديرة يشارك فيها كل إنسان.

رؤيـــة نقديـــة :

لم يكن نيتشه مخطئاً فى تأكيده على ذاتية الإنسان أو على قدرته على ممارسة حريته وإرادتـه، إلا أن ذلك الموقف العام من الإنسان، بل ومن العالم والحياة ككل شابه بعض التناقضات التى تفترض عدداً من التساؤلات. وقد جاء التساؤل الأول وهو بخصوص إيمان نيتشه بالطابع المأساوى للحياة. وهو : لماذا كان اعتماده على التشاؤم كقوة دافعة فى الحياة، أليس التفاؤل من باب أولى قوة دافعة للحياة؟ بل لماذا يضع نيتشه التشاؤم شرطاً لوجوده؟

لقد حفل تاريخ الفلسفة بمفكرين استندوا إلى الوجه المشرق للحياة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر سقراط، وليبنتز G. W. Leibniz، وجابرييل مارسيل G. Marcel، وإرنست بلوخ E. Bloch، إلا أن أكبر مثال على ذلك التفاؤل هو ما حفلت به الدراما الإغريقية نفسها وتحديداً من خلال ما عبرت عنه من صراع البطل التراجيدى مع قدره، بل ومع الآلهة ذاتها. ولنضرب لذلك مثالاً بأوديب Odipous (*)، وبروميثيوس Prometheus (**).

فلحظة النشوة التراجيدية تُظهر الأفراد فى حالة المواجهة لمصائرهم إلى الحد الذى يبحث فيه البطل عن معرفة ذاته مثل "أوديب"، أو ينشد خلق الفعل مثل "بروميثيوس". فتقدم أوديب فى العمر، ومكوث بروميثيوس فى العذاب لفترة طويلة لا يحتملها أحد لم يمنعهما من أن يكونا متفائلين بداية، فقد حصلا على شكل من أشكال الخلاص الدنيوى، وهذا لم يكن ممكناً إلا بممارسة الفعل النبيل الذى يأخذ إحدى صورتين، فإما أن يكون فى صورة البطل الملحمى الأسطورى الذى تكتب عنه الملاحم والقصائد الخالدة كنموذج للبطولة حال انهزامه فى صراعه القدرى، أو أنه حاز النصر فى هذا الصراع بشكل أو بآخر فيأخذ بذلك صورة البطل الإله، أو البطل النصف إله. لذا فإنه يبدأ متفائلاً لمعرفته بذلك المصير الذى يتكبد من أجله المعاناة.

(*) أوديب : وهو ابن جوكاستا، ولايوس ملك طيبة فى الأساطير الإغريقية، كما يعد أحد أبطال الأدب التمثيلى اليونانى القديم للكاتب سوفوكليس. تنظر : إمام عبد الفتاح إمام : معجم ديانات وأساطير العالم، المجلد الثالث، ص٥٠.

(**) بروميثيوس : وتعنى كلمة بروميثيوس العارف بالغيب أو الثاقب البصر، ويعد بطل من التيتان فى الأساطير اليونانية، خالق الجنس البشرى من الطين (الرجال فقط لأنه متبصر) اخترع الزراعة والفلك والطب. قام بسرقة النار السماوية من مركبة الشمس وأخفاها فى عصا مجوفة، وهبط إلى الأرض ثم سلمها إلى الإنسان (الرجل). انظر للمزيد : (إمام عبد الفتاح إمام : معجم ديانات وأساطير العالم، المجلد الثالث، ص١٤٨، وأيضاً : ثروت عكاشة، ص١٥٣).

فالحياة طبقاً لذلك لا تنطلق من الجانب الأسيان وحده، بل إن الجانب التفاؤلى يتخلله أيضاً، ولهذا فإنه ليس من المنطقى المناداة بجانب واحد عن تلك الحياة معبراً فقط عن لغزها، سواء اعتمد الإنسان على قدراته الخاصة به من معرفة وإرادة وفضيلة، أو استسلم لقدره، فليس معنى اعتماد الإنسان على قدراته تلك أن يتقوقع حول نفسه، رافضاً عالمه مبتعداً عن قوانينه الإلهية. "فكل القوانين، وكل الأمور الطبيعية، وحتى العالم الأخلاقى يمكنه أن يموت من خلال تصرفات وأفعال البطل، والدائرة ... عندما تصل إلى ذروتها فإن تأثيرها يمكن إيجاده فى عالم (بطولى) جديد" (١).

أما التساؤل الثانى فيتعلق بناحية كلية أيضاً كسابقه بل ومكملاً له، ويتمثل فى مدى ممارسة الإنسان لحريته وهو : هل الثوابت والأسس التى يستند إليها الإنسان أياً كان نوعها تمثل عائقاً لممارسته حريته أو تفعيله لما يملك من إرادة ؟ والإجابة هنا بالنفى، فالثوابت لا تحول دون وجود حرية أو القيام بفعل، وإلا لما كان كانط I. Kant قد استخدمها كأساس للعمل الأخلاقى.

وبصيغة أخرى : هل تجوز مثل تلك الصفات الديونيسية المعروفة بتدفقها وتهورها وحريتها اللامحدودة، وتمردها المستمر، إذا نظرنا لها من تلك الزاوية، أن تعمل فى ظل الثوابت والقوانين المجتمعية. إننا نرى أن تلك الروح الهمجية قد تدفعنا فى فترة من الفترات إلى نوع من الإشمئزاز من كثرة الهدم والبناء، وتلك الدائرة المتكررة والمنبثقة من التمرد. "فالهمجية الديونيسية تدفع للإشمئزاز منها مع تمردها الدائم على النظام" (٢).

واستمراراً للنواحى الكلية فإن التساؤل هذه المرة يتعلق بنظرة نيتشه للعلاقات الإنسانية، فهل العلاقات السليمة بين الأفراد تنطلق من القسوة أم تنطلق، خلافاً لذلك، من الرحمة والشفقة، اللهم إلا إذا كان نيتشه يرى أن الشفقة هى شفقة الإنسان بنفسه فقط دون مراعاة للآخرين ؟ ولعل فى فكرة "العقد الاجتماعى Social Contract بشكل عام وعند هوبز T. Hobbes بشكل خاص أكبر مثال على ذلك، فنظرة الفرد التشاؤمية القاسية لغيره من الأفراد لا تشكل وحدة جماعية أو مشاركة لبناء مجتمع، وعلى الفرد أن يتنازل عن جزء من حريته الخاصة به فى سبيل تعاونه مع الآخرين وبناء المجتمع. صحيح أن نيتشه أشار إلى أن الإيمان بالجماعية ينطلق من إرادة القوة، إلا أن ذلك يمثل شرطاً غير واقعى، فى حين أن ما هو واقعى أن يتعاون الإنسان مع أخيه الإنسان بقدر من الشفقة والرحمة – كما رأى ذلك شوبنهاور رغم تشاؤمه الشديد ويأسه، ومطالبته بالإنسحاب من الحياة. "فمشاعر التعاطف

---

(1) Giambino, Giacomo: Nietzsche and the Greeks: Identity, Politics and Tragedy, Pdity, Vol. 28, No. 4 (Summer, 1996), P. 431.

(2) Ibid, P. 426 ff.

والمحبة، تجعل المعاناة الأبدية جزءاً منها، ومثل تلك الحكمة لازالت تتطلب البطولة من البشر، وكذلك امتنانهم" [1].

أما فيما يتعلق بتكنيك التشاؤم عند نيتشه انطلاقاً من تأثره بأسطورة ديونيسيوس، فإن التساؤل الذى يفرض نفسه، فى تلك الحالة، هو: كيفية رؤية نيتشه لديونيسيوس، هل رآها مثلاً لتجدد الحياة بحيث يأتى الربيع بعد الشتاء، والحياة بعد الموت، أم أنه أخذ جانباً من أسطورة ديونيسيوس وهو فكرة التجدد نفسها والانبعاث من الموت دون أن يُكمل جانبها المشرق ؟ والإجابة بنعم، فيبدو من حديث نيتشه أنه مصرّ على النظرة الأحادية والتى لا تشترط وجود جانبها الآخر وهو التفاؤل، وتتفق، فى الوقت ذاته، مع وجهة نظره الخاصة بكينونته الفردية وكيف أنه هو من يُنشئ ذاته، ويحدد حياته دون أن تكون النظرة الكونية الطبيعية جزءاً من تفكيره.

لقد وجد نيتشه فى ديونيسيوس إمكانية تحقق البطل والسوبر المتمرد، وإن كان قد رأى فى تلك الفكرة أنها مجرد حلم، والحقيقة أن نيتشه كان متناقضاً مع ذاته فى ذلك. فرغم أنه نادى بالسوبرمان والقوة والإرادة من خلال ديونيسيوس، وذلك أن الإنسان يستطيع عن طريقه إنشاء الحضارة، إلا أن ديونيسيوس من ناحية أخرى، وهذا ما ذكره فى مؤلفه "مولد التراجيديا" مجرد حلم ووهم لوهم آخر. فها هو يقول : "بهذا الشكل علينا أن نتصور الإنسان... فى الثمل الديونيسى وإلغاء الذات.. ذلك لأن وضعه، وتوحده بالجوهر الصميمى للعالم، يتكشف له فى صورة حلم رمزى"[2].

لقد كان ديونيسيوس بالنسبة لنيتشه متشائماً، رغم أنه حمل فى داخله التفاؤل والتشاؤم معاً، بل وكل المتناقضات. إلا أن الجانب التشاؤمى قد طغى على الجانب الآخر عند نيتشه، فمثّل ديونيسيوس عنده مجرد أحلام يوتوبية مؤقتة وليست أبدية، فالإنسان من منظور نيتشه روح ترقص فى جماعة وتحمل فى داخلها الأنانية، لذا كان على ديونيسيوس أن يعود فى كل عام ليجدد ذلك الحلم الذى ينقضى بانقضاء سكره، فكانت عودته باستمرار حتمية، وقد كانت الأبدية هى فى تلك العودة المتكررة فقط، وليست الثابتة التى لا تختفى بإختفائه، وتعود بعودته، فالحضارة الإنسانية فى وجودها وتراكمها، وهى فى الإضافة إليها وليس فى اختفائها أو هدمها، فكان بذلك ديونيسيوس نيتشه تشاؤمياً بشكل كلى.

---

(1) Ibid., P. 433.

(٢) نيتشه : مولد التراجيديا، ص٨٧.

إلا أن ذلك التشاؤم الديونيسى الكلى يمكن أن يؤخذ بمحملين، أولهما محمل يستند إلى يوتوبية الفكرة الديونيسية، والآخر يستند إلى إمكان تحققها. أما المحمل الأول فيعتمد على "لعبة الطبيعة مع الإنسان" (١) فى حاله سكره، وما يحمله ذلك من معنى. ولا يمكن أن نفهم ذلك إلا بشكل رمزى ما لم يخضها الإنسان بنفسه، وهذا مشابه لوضع الإنسان فى الحلم، حيث يواجه الحلم بالحلم. فالديونيسى الخالص يجب أن يكون نشواناً بفعل السكر، وفى الوقت ذاته، يُمسك عن القيام بالعمل ويكتفى بمشاهدته. فكيف يُولد البطل القوى من الإنسان المخمور التى تشبه حياته مجرد الحلم ؛ لذا تظل الفكرة النيتشوية الديونيسية يوتوبية.

إلا أن التشاؤم الديونيسى له محمل ثان وهو لماذا لا يُنظر إليه باعتباره وصفاً للعالم غير المعقول الذى نجد فيه أنفسنا، ووصف كذلك لكيفية مواجهة هذا الموقف ؟ "إن نيتشه لا يحتكم إلى العقلانية، أو يعد بها، ولا السعادة فى محاولاته للدفاع عن موقفه. إنه من الأفضل اعتبار التشاؤم الديونيسى اتجاهاً وممارسة يمكنها إرشادنا من خلال العالم ... وهذا لا يعنى أن الذات هى الموضوع الوحيد للفلسفة أو الفعل، ولكنه تأكيد على فكرة أنه يجب علينا أن ندرك تلك الحدود للشرط الإنسانى الذى يشمئز المتفائلون من الاعتراف به. وبدلاً من الاقتراح بالإنسحاب، فإن هذا التشاؤم يشجعنا كى نعمل" (٢).

ولذلك فإنه من الخطأ محاولة فهم التشاؤم الديونيسى بجعله ضد ... مذهب المنفعة أو الأخلاق الكانطية، والنظر إليه باعتباره نظرية أخلاقية تصف مجموعة مثالية بعينها من السلوكيات، وتحاول أن تبررها (للمتهم بالنقاشات العقلية)" (٣).

وخلاصة ذلك كله إننا إذا أردنا أن نقيّم موقف نيتشه من شوبنهاور، فإن هذا يتطلب أن نعرض لجوانب متقابلة فى الحياة ذاتها مثل التفاؤل والتشاؤم بشكل تبدو معه مفاضلتنا بينهما، هى فى حقيقة أمرها، مفاضلة بين موقفين بإزاء تلك الحياة، إما الموقف العقلانى الهادئ المستقر، وإما الموقف الثائر على تلك العقلانية والتمرد عليها، وإن كان الاثنان متواجدان فى الإنسان بالفعل فى العقل والقلب، الفكر والعاطفة ؛ والأمر فى النهاية مرجعه إلى الرؤية الذاتية للإنسان ذاته وإلى أيهما يحتكم، إلا أن ذلك لا يمنع من أن مناقشة هذه الجوانب المتقابلة فى الحياة بزواياها المتعددة وتفسيراتها المحتملة، بل المتناقضة أيضاً، يعبر عن جانب واقعى حيوى تصدى لفهمه والتعبير عنه فيلسوفان كبيران: شوبنهاور ونيتشه مهما كان اعتراضنا على كم هذا التشاؤم فى حديثهما.

---

(1) Giambino: Op. Cit. P. 433.

(2) Dienstag: Nietzsche's Dionysian Pessimism, P. 936.

(3) Op. Cit. Loc. Cit.

قائمــة المصـادر والمراجــع

أولاً : المراجـــع الأجنبيـــة

(أ) المصــادر الأجنبيــة :

(1) Schopenhauer, Arther: The World as Will and Idea, Translated from the German by R. B Haldane and J. Kemp (London: Kegan Paul, Trench, Trubner), Vol. 1, Seven the edition, 1818.

(ب) المراجــع الأجنبيــة :

(1) Choron, Jacoues: The Romance of Philosophy, The Macmillan Company, New York, Collier – Macmillan LTD., London, 1963.

(2) Dienstag, Joshau Fau: Nietzsche's Dionysian Pessimism, The American Can Political Science Review, Vol. 95, No. 4, (Dec., 2001).

(3) _____: Tragedy, Pessimism Nietzsche, New Literary History, Vol., 35, No., 1, Rething King Tragedy (Winter, 2004).

(4) Dolson, Grace Neal: The Influence of Schopenhauer Upon Friedrich Nietzsche, The Philosophical Review, Vol. 10, No., 3 (May, 1901).

(5) Giambino, Giacomo: Nietzsche and the Greeks: Identity, Politics and Tragedy, Pity, Vol. 28, No. 4 (Summer, 1996).

(6) Sokel, Walter H.: On the Dionysian in Nietzsche, New Literary, Vol. 36, No. 4, on Exploring Language Philosophy, Poetry and History (Autumn, 2005).

(7) Ure, Michael: The Irony of Pity: Nietzsche contra Schopenhauer and Rousseau, Journal of Nietzsche Studies, No. 32 (Autumn, 2006).

ثانياً : المراجـع العربيـــة

(أ) المصـادر العربيـة :

(١) آرثر شوبنهاور : العالم إرادة وتمثلاً، فؤاد ذكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

(٢) فريدريك نيتشه : مولد التراجيديا، ترجمة : شاهر حسن عبيد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية . سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

(٣) ـــــــــ : هذا الإنسان، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١.

(٤) ـــــــــ : هكذا تكلم زرادشت، المكتب العالمى للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ.

(ب) المراجـــع العربيـة :

(١) ثـروت عكاشـة : الإغريـق بـين الأسـطورة والإبـداع، دار المعـارف، القـاهرة، ١٩٧٧.

(٢) عبد الرحمن بدوى : شوبنهاور، وكالة المطبوعات، دار القلم، الكويت – بيروت، لبنان، ١٩٤٢.

(٣) ميخائيل تانر : مقدمة الترجمة لمولد التراجيديا، ترجمة شاهر حسن عبيد، دار الحوار للنشر والتوزيع . اللاذقية . سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

(٤) والتركاوفمان : التراجيديا والفلسفة، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

ثالثاً : القواميـس والمعاجـم

(أ) قواميس ومعاجم اللغة الإنـجليزية :

(1) Weitz, Morris: Tragedy, The Encyclopedia of Philosophy, Editor in Chief Paul Edwards (New York: Macmillan), Vol. 8, 1979.

(ب) قواميس ومعاجم اللغة العربية :

(١) إمام عبد الفتاح إمام : معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولى، المجلد الثالث، القاهرة، دون تاريخ.

(٢) عبد المنعم الحفنى : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨.

(٣) نبيل راغب : موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.